

\* أ.د. مالك ياسين

\*\* ملاذ حرفوش

## الاستلزم الحواري في "الرواية المستحيلة" لغادة السمان

### مقاربة تداولية في مضمرات القول

#### الملخص

يعـدـ الحوارـ أحدـ أـبـرـزـ أـشـكـالـ التـوـاـصـلـ الـبـشـريـ،ـ وـهـوـ الجـانـبـ الـحـيـ الـأـكـثـرـ تـقـاعـلـاـ وـحـيـوـيـةـ فـيـ الـعـمـلـ الـأـدـبـيـ،ـ وـقـدـ اـشـتـغـلـتـ النـظـرـيـاتـ الـلـغـوـيـةـ مـؤـخـراـ عـلـىـ درـاسـةـ الـحـوـارـ مـنـ منـظـورـ لـسـانـيـ تـداـوليـ،ـ وـفقـ نـظـرـيـةـ الـاستـلزمـ الـحـوـارـيـ الـتـيـ أـدـرـجـتـ ضـمـنـ النـظـرـيـةـ الـتـدـاوـلـيـةـ،ـ بـوـصـفـهـ مـبـحـثـاـ مـنـ مـبـاحـثـ الـإـجـرـائـيـةـ وـالـلـسـانـيـةـ،ـ وـصـنـفـ الـلـغـوـيـونـ أـشـكـالـ الـاسـتـلزمـ الـحـوـارـيـ وـفـقـ مـبـادـيـ لـغـوـيـةـ مـحـدـدـةـ،ـ أـطـلـقـ عـلـيـهـ مـبـدـاـ الـتـعـاـونـ،ـ وـكـانـ خـرـقـ هـذـهـ الـمـبـادـيـ رـكـيـزةـ استـدـلـالـيـةـ تـغـنـيـ الـحـوـارـ،ـ وـتـضـمـرـ مـقـاصـدـهـ،ـ وـتـمـدـهـ بـمـقـدـرـةـ تـقـاعـلـيـةـ أـعـقـمـ،ـ وـتـبـنـىـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ الـحـوـارـيـةـ عـلـىـ شـرـوـطـ تـوـاـصـلـيـةـ تـرـاعـيـ مـقـامـ أـطـرـافـ الـعـمـلـيـةـ الـتـوـاـصـلـيـةـ،ـ وـخـلـفـيـاتـهـ الـمـرـجـعـيـةـ،ـ وـمـعـارـفـهـ الـمـسـبـقـةـ،ـ وـيـتـمـ فـيـ هـذـاـ الـبـحـثـ اـسـتـقـصـاءـ بـعـضـ الـمـقـاطـعـ الـحـوـارـيـةـ الـوـارـدـةـ فـيـ رـوـاـيـةـ "ـالـرـوـاـيـةـ الـمـسـتـحـيـلـةـ"ـ،ـ وـتـحـلـيـلـاهـ تـبـعـاـ لـمـبـادـيـ النـظـرـيـةـ الـحـوـارـيـةـ،ـ مـرـاعـيـةـ الـأـبعـادـ الـحـوـارـيـةـ،ـ وـالـشـروـطـ الـتـوـاـصـلـيـةـ؛ـ لـنـكـشـفـ الـدـرـاسـةـ مـضـمـرـاتـ الـتـوـاـصـلـ الـحـوـارـيـ فـيـ النـصـ،ـ وـصـوـلـاـ إـلـىـ التـأـوـيلـ الـلـغـوـيـ الـمـقصـودـ مـنـ الـبـنـيـةـ الـحـوـارـيـةـ وـتـرـمـيزـهـاـ الـكـلـامـيـ الـمـؤـسـسـ لـمـدـلـولاتـ وـمـقـاصـدـ تـدـاوـلـيـةـ مـتـعـدـدـةـ وـمـتـنـوـعةـ.

**الكلمات المفتاحية:** الحوار، التداولية، المضمر، مبدأ التعاون، الرواية.

\* أستاذ. قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

\*\* طالبة دكتوراه (الدراسات اللغوية). كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

malaz19harfosh86@gmail.com

## مقدمة:

تقصى البحث المحادثة الحوارية في رواية "الرواية المستحيلة" للكاتبة السورية "غادة السمان"، ودرسها من منظور تداولي، وذلك وفق نظرية الاستلزم المحادثاتي ومبدأ التعاون عند غرايس؛ إذ شغل الحوار جانباً تفاعلياً في الرواية، وتتنوع بين أطراف متحاورة عدّة، وأخذ أحياناً طابعاً مونولوجياً خاصاً، وتميز في الرواية بمضموناته الكلامية، ويتتنوع المقاصد التداولية، فانشغل البحث بتقصي مضموناته الكلامية، وأخذ السياق الكلامي بعين الحساب، لما له من أهمية في كشف مضمونات القول التي يتوكّلا بها المتكلّم، وبُني هذا التأويل الحواري على نظرية الاستلزم بمبادئها الحوارية.

## أهمية البحث وأهدافه:

تُبني الدراسة على تحليل الحوار في الرواية من منطلق نظرية الاستلزم الخطابي، وتقترن الدراسة أن للحوار بعداً تداولياً ذا معان غير مباشرة، فهل حقّ الحوار التزاماً تداولياً مع مبدأ التعاون أم اعتمد خرقه؟ وما أسباب خرق مبدأ التعاون، وكيف يشكّل الخروج على الالتزام به تفاعلاً أكبر؟ ما المقاصد المفترضة وراء مضمونات القول؟ وما الأبعاد التداولية التي وصلت إليها العملية التفاعلية في الحوار؟

## مواد البحث ومنهجه:

تُبني الدراسة على مقاربة تداولية للرواية، وهي رواية سورية حديثة، طُبعت طبعتها الأولى سنة 1997، تناولت قصة متخيّلة مستمدّة من واقع سوريا، ودارت أحداثها في القرن الماضي، فرّصت المادة العلمية وجّمعت، وتمّ تصنيف البنية النصيّة وتحليلها وتأوّلها، وصولاً إلى هدف البحث ونتائجـه الوصفيّة والعلميّة والموضوعيّة.

## المناقشة:

شملت المناقشة جانبيـن؛ الأول نظريـ، توخّت الـدراسة فيه العرض الموجـ لمفاصل الـبحث النظرـيـة التي سـيـبنيـ علىـهـ التـطـبـيقـ، والـثـانـيـ تـطـبـيقـيـ، وفيـهـ عـنـيـ الـدـرـسـ بـتـحـلـيلـ بـعـضـ أـطـرـافـ الـمـحـادـثـاتـ الـوارـدـةـ فيـ الـرـوـاـيـةـ وـفـقاـ ماـ جـاءـ فـيـ التـنـظـيرـ، وـتـمـ اـنـتـقاءـ حـوـارـاتـ لـوـحـظـ الـبـعـدـ التـدـاوـلـيـ وـالـعـقـمـ الـقـصـديـ فـيـ جـوـانـبـهاـ.

## القسم النظري:

تعريف الحوار لغة: "أحـارـ عـلـيـهـ جـوابـهـ: رـدـهـ. وأـحـرـتـ لـهـ جـوابـاـ وـهـ أـحـارـ بـكـلـمـةـ، وـالـاسمـ مـنـ الـمحـاورـةـ الـحـoirـ، تـقولـ: سـمـعـتـ حـoirـهـماـ وـحـوارـهـماـ. وـالـمحـاورـةـ الـجاـوبـةـ. وـالـتـحـاـورـ: التـجاـوبـ؛ وـتـقولـ: كـلـمـتـهـ فـمـاـ أحـارـ إـلـيـ جـوابـاـ وـمـاـ رـجـعـ إـلـيـ حـoirـاـ وـلـاـ حـoirـةـ، وـلـاـ محـورـةـ وـلـاـ حـوارـاـ أـيـ مـاـ رـدـ جـوابـاـ وـاستـحـارـهـ أـيـ استـطـقـهـ... يـقـالـ: كـلـمـتـهـ فـمـاـ رـدـ إـلـيـ حـوارـاـ أـيـ جـوابـاـ"<sup>1</sup>، وـاصـطـلاحـ Dialogueـ: "تـبـادـلـ الـكـلامـ بـيـنـ اـثـيـنـ أـوـ أـكـثـرـ. وـالـحـوارـ نـمـطـ تـواـصـلـ؛ حـيـثـ يـتـبـادـلـ وـيـتـعـاقـبـ الـأـشـخـاصـ عـلـىـ الإـرـسـالـ وـالـتـلـقـيـ".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنباري الإفريقي المصري، 1981 - لسان العرب. ط1، تـ: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حـسـبـ اللهـ، هـاشـمـ مـحـمـدـ الشـازـلـيـ، دـارـ الـمـعـارـفـ، مـصـرـ، مـادـهـ: حـورـ.

<sup>2</sup> علوش سعيد، 1985- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبرس- الدار البيضاء، 78

يُلاحظ مما تقدم أنَّ الحوار يتطلب طرفين يشاركان في العملية التَّوَاصِلِيَّة، ويتم في هذه العملية حد أدنى من التَّقَاعُل والاسْتِجابة بينهما، ويتحمَّل على ذلك بالضرورة وجود موضوع قائم لغرض مقصود قيد التَّحاور، وصولاً إلى غاية نفعية منتظرة منه.

### نشأة مصطلح الحوار:

انطلق الحوار بمفهومه المعاصر في أعمال "ميխائيل باختين" ودراساته النقدية والأدبية لنتاج الكتاب الروسي، وتوسعت دراسته لتشمل مفهوم تعدد الأصوات في النَّصّ، والحوار الدَّائِر بين النَّصوص وفق مفهوم التَّناصُّ، فحظيت الرواية من وجهة نظر باختين بميزة الحوار مع نصوص سابقة لها، غير أنَّ مفهوم الحوار الذي يعني به البحث يرتبط بالمحادثة التي تدور بين شخصيات الرواية، وما ينتج من هذا الحوار من تفاعل تخلقه مضممرات القول التي تأخذ أبعاداً تداولية في هذا العمل.

كما أنَّ "فكرة الحوار اللُّغوي" من اشغالات الشَّكلاَنِيِّين الروس، فهم يلحون على الطَّابع الحواري للتَّواصل اللُّغوي، ويرون أنَّ المونولوج، باعتباره شكلاً جنينياً لِلسان المشترك، قد أتى بعد الحوار<sup>1</sup>.

ويؤكِّد الشَّكلاَنِيِّون الروس – وهم الذين أولوا عناية بالجانب الحواري – وجوب إدراج المونولوج في إطار العملية الحوارية، فهو من منظور الأدب شكلٌ من أشكال التَّواصل في النَّصّ، تواصلٌ له أبعاده الفكرية التي تستحق البحث في الأعمال الأدبية.

ولم ينحصر فهم الحوار ودراسته في مجال الأدب فقط، بل "اشغلت عليه التَّداولية، وعلم اللُّغة الاجتماعي، وعلم لغة النَّصّ وتحليل الخطاب، وكذا علم النفس خصوصاً إذا تعلَّق الأمر بالحوار الدَّاخلي مثل المونولوج، ومناجاة النفس، وتيار الوعي وأحلام اليقظة"<sup>2</sup>، فالتواصل بموجب الحوار عملية معقدة تشغله حيزاً واسعاً في مبحث علم النفس بجانبيه؛ الدَّاخلي (المونولوج- أحلام اليقظة...) والخارجي.

### هيئة الحوار وأثره:

لا شكَّ في أنَّ العملية التَّوَاصِلِيَّة الحواريَّة ذات تأثير متبدِّل بين المتحاورين، وإذا كان الحوار علاقة تقوم بين طرفين أو أكثر، فهو يتطلَّب جملة من المعطيات التي تضمن نجاحه واستمراره، فالحركات المصاحبة للكلام، والإشارات اليدوية، والتعبيرات الجسدية، وباقِي الأيقونات التَّوَاصِلِيَّة تسهم بشكل فعال في نقل الرِّسالة اللُّغوية، وتسهيل فهمها لدى المستمع<sup>3</sup>، فلغة الجسد المرافقة للحوار تشكِّل علاماً فارقاً لفهمه، ومنه تسعى الأنواع الأدبية التي تُدرج الحوار في متنها إلى توضيح التَّعبيرات الجسدية كتابة، وتجمسيتها في النَّصوص، بوصفها جزءاً أساسياً يَعُوض عن فقدان الصُّورة النَّاقلة لتلك الحركات أو الإيماءات المرافقة للحوار، لأنَّها جزءٌ أساسيٌّ من التَّواصل الكلامي بين المتحاورين، وهو يتيح المجال لهم المقاصد الكلامية.

<sup>1</sup> يرى "باختين" أنَّ الرواية هي النوع الأدبي الذي توج النَّثر؛ لذلك تظهر ظاهرة الحوارية بصورة قوية وجذرية في الرواية، في الرواية تكون للحوارية فيها جذور ضاربة بعمق في تنوع الملفوظات وفي تعدد اللغات، وفي أشكال الأسلوبات، وليس فقط في تناقضات الشخصيات وتعقد علاقتهم الاجتماعية".

بوعة محمد، 1995- الحوارية الروائية، البيان، الكويت، 1 نوفمبر، 8.

<sup>2</sup> كريستينا جولي، 1 أكتوبر 2000- الكلمة والحوار والرواية. الأدب الأجنبي، تر: حسن المودن، ع 104، ، 75.

<sup>3</sup> زاوي، أحمد ، 1 أكتوبر 2013- تجليات الحوار في الخطاب السردي عند محمد مفلاح. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، ع 3 ، 49.

<sup>3</sup> ينظر: علوى محمد إسماعيل، 2013- التواصل الإنساني دراسة لسانية. دار كنوز المعرفة، عمان، ط 1، 60.

ويمكن تصنيف الحوار في أشكال تواصلية تصاعدية من منظور علمي تفصيلي، هي "الحوار والمحاورة والتحاور، يختص كل منها بمنهج استدلالي وآلية خطابية وبنية معرفية ونماذج نظرية وشهاد نصية، وتتفاوت في قدرتها على أداء الحوارية"<sup>1</sup>، فإذا كان الحوار أداءً نطقياً عملياً للكلام بين أطراف الحوار، فإن المعاورة تأخذ شكلاً تصاعدياً، يطرح الأفكار والقضايا موضوع الحوار، أما التحاور فهو إطار شامل وواسع للدخول في هذه العملية المعقدة بين الأطراف، وصولاً إلى الإقناع.

ويبدو أن المحاور غالباً ما يجري حواراً داخلياً مع ذاته، محاولاً من خلاله تخيل الأسئلة التي يتوقع أن يطرحها المشاركون في الحوار، كما يحاول أن ينتقي الأجوية التي يراها أكثر ملاءمة وإنقاضاً<sup>2</sup>، فالحوار عملية لغوية ذهنية معقدة، تبدأ من ذاتنا، فتشاً بداخلنا علاقة تواصلية عميقة، نقيم فيها حوارات متخيصة حول قضية ما، ترعر فينا جملة من الأسئلة وربما الأجوية قبل أن نفتح الحوار مع الآخر، هذا إذا افترضنا وجود عملية قصدية حوارية واقعة ضمن خطة تواصلية، غير أن هناك حوارات اعتباطية غير قصدية، تخلقها ظروف لقاءات بين أطراف اعتباطية، وهي لا تختلف في الإجراء التواصلي، ولا تخلو من مضمونات كلامية تخلقها الحوارات المفعولة.

### الاستلزم الحواري عند غرايس:

أفرز البحث اللغوي في مجال المحادثة شروطاً جديدة وأشكالاً رئيسة أسسها التداوليون<sup>\*</sup> الغرب، فميز "غرايس" بين ما يقال "what is said" ، وما يقصد "what is meant" ، فالناس في حواراتهم يقصدون أكثر مما يقولون، أو يقصدون عكس ما يقولون، فأراد أن يقيم طريقاً واضحاً بين المعنيين الصريح explicit meaning والضمني implicit meaning ، فشلت لديه فكرة الاستلزم<sup>3</sup>.

أدخل "غرايس" في مقالته التي نشرها عام 1975 "Logic and Conversation" "مفهومين؛ هما: الاستلزم الخطابي، ومبدأ التعاون"، ولهذين المبدأين قواعد، هي:

1. الكم maxim of Quantity: لتكن مساهمتك بالقدر المطلوب.
2. الطريقة maxim of Manner: قل كلامك من دون غموض أو لبس.
3. النوع maxim of Quality: لا تقل ما هو كاذب أو ما لا يمكنك أن تبرهن عليه.

<sup>1</sup> عبد الرحمن طه، 2000- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 55.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الفتاح محمد، 1979- سيميولوجية الاتصال والإعلام. دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، 62 وما بعد.

\* النظرية التداولية: دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تُعنى به اللسانيات" روبول آن؛ موشر جاك، د.ت- القاموس الموسوعي للتداولية. د.ط، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا- تونس، سلسلة اللسان، ص21.

<sup>3</sup> ينظر: نحلة محمود أحمد، 2002- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 33، عن كتاب: Thomas J. 1996

**Meaning in Interaction.** An Introduction to Pragmatics Longman London and New York. P55 f.

\* مبدأ فعلياتي شامل قدم له غرايس في نظرية التلوّح الحواري، وهو مبدأ يحدّد الطريقة التي تستعمل فيها اللغة بأعلى قدر من الكفاية والفاعلية لتحقيق التفاعل التعاوني والعقلي في الحوار. ينظر: هوانغ يان، 2020- معجم أكسفورد للتداولية. ط1، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليلية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 196.

#### 4. العلاقة(maxim of Relevance): اجعل كلامك متصلًا بالموضوع<sup>1</sup>.

هذه القواعد المحاذاتية<sup>\*</sup> تبين أهمية مراعاة أطراف الحوار الكلام المناسب للغرض، والكمية الكلامية المحددة، والتزام صدق الأقوال، فـ"غرايس" يفترض أن هذه المبادئ تحكم عملية التواصل، غير أن المفاجئ الذي يفترضه في منطق المحادثة هو خرق مبادئ التعاون؛ أي الخروج على حدود القواعد السابقة؛ لينفتح أفق الحوار الذي يضم معاني ضمنية، ومقاصد تداولية غير مباشرة.

#### التطبيق والمناقشة:

تدرج اللغة الحوارية في نص "الرواية المستحيلة"<sup>\*\*</sup> في بنية لغوية تحفل بالمدولات وبالمعاني الضمنية، فتنطوي على أبعاد اجتماعية وذاتية، جاء في الرواية:

تقول "فالك" زوجة "عبد الفتاح": "كل مصابينا من هذه البومة. ناحت ليلة ولدت هند أول مرة فأنجبت بنتاً، وناحت يوم ولادتها الثانية فقتلتها والصبيان [...]. لا بد من قتلها كي نرتاح، ولكن أين تختبئ؟"

قالت بوران: زين هي السبب في موت أمها لا البومة وحدها. فلو كانت صبياً لما اضطرت هند لإعادة الكرة ولما ماتت. وأضافت قبل أن تغيب خلف الباب حاملة هاني الذي لم يتوقف عن البكاء: لو تركتموني أتعلم وأصير طيبة لعالجتها ولما ماتت<sup>2</sup>.

في هذا الحوار الدائير بين مجموعة من نساء العائلة يخرق المتحاورون مبدأ التعاون بوضوح، بهدف زيادة التواصل التفاعلي، وفتح أفق أوسع لاستمرار الحوار، ومد جسور لمواضيع جديدة، فالسؤال "أين تختبئ؟" لم يحظ بجواب، بل فتح مشروعًا حواريًا جديداً يتلاءم مع مقام المتحاورين، ويدعم المعتقدات التي تتجاذبها أطراف الحوار بوصفها عنصراً من عناصر الحوار، فالاهتمامات واحدة، وطريقة تفكير طرفين الحوار متشابهة، وهي تضم رغباتهم الملحة المتمثلة فيربط المصائب والتوائب بعوامل غير منطقية وباللامألوف، وفق إصرار منهم على تفسير هذه العوائق تفسيراً شعبياً غير مجدٍ.

<sup>1</sup> ينظر: روبيول آن؛ موشلار جاك، 2003- التداولية اليوم علم جديد في التواصل. ط١، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة- بيروت، 55.

\* أضافت "روبن لاكوف" وهي باحثة لسانية- قواعد محاذاتية عُرفت بـ"مبدأ التأدب"، ويؤسس الحوار تبعاً للاحظتها على قواعد، هي: يشترط الحوار ألا تفرض نفسها، وأن تقدم خيارات، وأن تظهر الود. ينظر: خدام جود، 2016- التداولية أصولها واتجاهاتها. ط١، دار كنوز المعرفة، عمان، 107-108.

\* تحدث الرواية عن عائلة تقطن في دمشق، في زمن الانتداب الفرنسي وما بعد الاستقلال، تقصّ حكاية زين الطفولة التي ماتت ولادتها هند عقب ولادتها لصبيان قصياً بعد وفاة الأم، تعيش زين مع والدها أمجد وجدتها في منزل العائلة، يلف الغموض حياة ولادتها التي يتحفظ الجميع على البح بماضيها، تكبر زين الفتاة المفعمة بالشّاط والحوبيّة والرغبة في الاكتشاف والبحث والعيث وحب اللعب والقراءة والكتابة، وتنشأ في ظل ازدواجية تربوية، فوالدها "أمجاد" المحامي الذي يتصف بالهدوء والاتزان، يسعى إلى تربيتها تربية منفتحة، معطياً إياها هاماً من الحرية في ممارسة كل ما تهوى، في حين يلّفها محيط عائلتها المتسلط والتقليدي بجوا من التقيد والتأنيب، فتمارس عمّتها "بوران" دور المرأة النصوح التي لا تكف عن تأنيب "زين" على سلوكياتها، ويعمل عقها "عبد الفتاح" جاهداً ليخافط على تعاليد العائلة والبيئة المحيطة، لأنماً "أمجاد" على تربيته لابنته، وتكبر "زين" متحدة الجميع، مصممة على ممارسة الكتابة، مكتشفة أسرار ولادتها، تنتهي الرواية حين ترافق زين والدها إلى حفلة افتتاح طيران شراعي في دمشق، فيقود الطائرة طيار ألماني، ترافقه زين في رحلته السريعة في سماء دمشق، وهي مغمورة بالبغطة والشجاعة.

<sup>2</sup> السمان غادة، 1997 نيسان - الرواية المستحيلة فسيفساء دمشقية. ط١، منشورات غادة السمان بيروت، 41.

وبناء الحوار السابق يراعي ما يُبَنِّي الحوار عليه بوجه عام، حين يتتساوق مع جملة من الشروط التي تتوافر بين أطراف العملية الحوارية؛ هي: الشرط المعرفي الذي يمثل الخزان المعرفي الذي يستقى منه المخاطرون مضامينهم الحوارية، والشرط المقامي المرتبط بمقام التواصل والظروف الزمانية والمكانية، والشرط التصدي، وهو سابق لدى المرسل، بظاهره ومضمونه، في حين أنه لاحق لدى المتكلّم، يعتمد ظهوره لديه على مبدأ المثير والاستجابة<sup>1</sup>، فالعملية الحوارية، في أبسط أشكالها وأقلّها تعقيداً، تستحضر جهداً معيناً، ينضوي على فكرة يشترك فيها طرفان على أقل تقدير، وتراعي فيها الظروف المقامية للمتكلّم بوصفه طرفاً ثانياً، والأخذ بالمقام التواصلي للمتكلّم شرط ضمان نجاح المقاصد الحوارية.

ويتصاعد الحوار عند ربط سبب موت "هند" بابنتها "زين"، وثم يخرق قولها: "لو تركتوني أتعلم .. لعالجتها ولما ماتت" مبدأ التعاون، فهو يتعارض مع اتجاهات التفكير المتدالولة لدى المتكلّمين، فتكشف المفارقة الفكرية بين تعدد أسباب الموت المرتبطة بالخلافات ومحاربتها بوسيلة علمية طبّية، ويوسّس الأسلوب الشرطي بطابعه الحجاجي لوجود قول مضمون، حين يضع قوّة العلم وجهاً لوجه أمام ضحالة الجهل المرتبط بالأعراف الشعبية، فيضمّن الحوار نقداً للخلفيات المرجعية الشعبية التي تشكّل عاملًا هاماً للفكر الحضاري والمنتفع المنطقى، ويبحث الحوار على تجنب الأحكام المسبقة المبنية على آراء عامة، والمستقاة من الثقافة الشعبية الطاغية على منطق التفكير.

ويدور الحوار الآتي في أثناء "سيران" العائلة: "ناداها عمّها عبد الفتاح قائلاً: يا فحاء، أعدّي لي فنجان قهوة. وصُعِقَ الجميع حين أجبت: لماذا لا تعدد بنفسك؟ ألا ترى أنني أقرأ وأستعد لامتحانات؟ زجرتها عمّها بوران: عيب أن ترمي هكذا على عمة الكبیر"<sup>2</sup>.

لا تُعد كل عملية حوارية عملية تواصليّة عميقه ما لم تكن مسكونة بالمدلولات وبالمقصود التداولية، وتمثل أبعاد الحوار في البعد الحجاجي، والجدلي، والدلالي، والتأويلي، والحواري<sup>3</sup>، وفي هذا الحوار يتضح البعد الجدلي الذي يعكس اختلاف الأيديولوجيات التي تمثل اتجاهين متافقين سائدين؛ إذ يشكّل ردّ "فحاء" على عمّها خرقاً جديداً لمبدأ العلاقة في الحوار، فالنداء يمثل طلباً كلامياً، والفعل "أعدّي" يمثل طلباً آخر يحدّد ماهية الغرض المطلوب من النداء، ويتوقع المحاور ردّاً على طلبه، غير أنّ سؤالها يُنشئ بعداً حوارياً إشكالياً، ويستلزم التفكير بأبعاده الدلالية، استدعي هذا بدوره تبادل الأطراف، وتدخل طرف ثالث في هذه العملية الحوارية، حين ردّ العمة على السؤال غير المباشر "لماذا لا تعدد بنفسك؟" بإجابة غير مباشرة "عيب أن ترمي هكذا". وبناء على ذلك تفسّر المحادثة إدراك المخاطرين الأبعاد الدلالية للسؤال الخارج على معنى الاستفهام، ويدوّي أنّ مبدأ التأدب الذي يُدرج محور "إظهار الود" ضمنه قد خرج على حدوده أيضاً، فإنكار القيام بالفعل المطلوب، والتمرد عليه يعدّ عملاً مستقراً، تقرّ به فتاة شابة ترفض الإذعان لنداء رجل، يشكّل ردّها خللاً في منظومة المجتمع التقليدية وعقليّته الرجعية، فهناك أمران ملزمان يوضّحهما السياق المقامي؛ الأول كونه رجلاً، والثاني بوصفه عمّها الكبير في السن، إنّ هناك ثنائية

<sup>1</sup> ينظر: نظيف محمد، 2010- الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية. د.ط، أفريقيا الشرق، المغرب، 56-57.

<sup>2</sup> السمان غادة، الرواية المستحيلة. 49-50.

<sup>3</sup> ينظر: عشير عبد السلام، 2006- عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج. د.ط، أفريقيا الشرق، المغرب، 200 وما بعد.

واقعية انعكست في هذا النص، وتمثلت في "المرأة/ الرجل الطرف المتفوق مهما وقع عليه من اضطهاد خارج إطار هذه الثنائية، في حين تظل المرأة [...] الطرف المنكسر المعوز في إطار الثنائية"<sup>1</sup>. إن رد الفتاة يضم معاني ضمنية شتى، تسعى من خلالها إلى الخروج على المألوف، وهدم السلطة الذكورية، وكسر معايير التبعية المتوارثة التي تبنت الأمور لمصلحة الأقوى اجتماعياً.

ويدور حوار بين فิحاء وإحدى عماتها؛ إذ تبدأ العمة قائلة:

"إلى أين سيوصلك هذا الكتاب الذي أراه دائماً في حضنك؟"

- إلى دار المعلمات. أريد أن أتعلم لأصير معلمة مدرسة، وليس لي راتب [...] لا أريد أن أكون عالة على أخي وعلى زوجته حين يتزوج"<sup>2</sup>.

يقود السياق المرجعي المباشر المحتاورين إلى خرق حواري جديد، يزيده تفاعلاً وبناء، ويعمق مضامون الحوار، فالسؤال تداولي بطبعته، وقد جاء استفساراً عن أمر معنوي يتجسد في هيئة آلة مادية "إلى أين سيوصلك هذا الكتاب؟"، يدعم الحاج التفسيري مقاصد المتكلّم، فيتدرج سلّمياً في عملية إقناعية توّكّد أسباب السعي إلى اكتساب العلم، فرغبة المتكلّم في التعلم الذي يدعمه الاستقلال المادي من خلال العمل، لكونه ركيزة مهمة للفتاة، ويعيد الإسهاب الشارح في الجواب خرقاً لمبدأ الكم.

إن المضمرات التداولية وراء ما يقال يشجع الآخر على تكوين ذاته، واستقلاله عن تبعية المعيل، ليعيل نفسه بنفسه بعد امتلاك مقومات داعمة، فتعزيز الجانب المادي لدى المرأة عامل رئيس من عوامل التحرر والاستقلال، وهو واحد من أسباب التفوق وإثبات الذات.

تقول "فيحاء" أيضاً:

"كنت أضع المنديل على شعرِي ليتركني عقي عبد الفتاح وشأني كي أتعلم وأعمل وأكون حرّة كما أنا اليوم . . .

"حرّة . . . ما معنى حرّة؟" سألتها زين.

أجبت فيحاء ضاحكة: حرّة يعني صبيّ".<sup>3</sup>

ينشأ في هذا الحوار تفاعل كلامي بين مقامين مختلفين عمرياً، فهو يدور بين فتاة صغيرة وأخرى شابة، ويخلله خروج على مبدأ النوع؛ وذلك عندما تقول كلاماً ليس صادقاً، إن تفسير الحرية بكونها صبياً يحقق شرطاً حوارياً مقامياً، ويضم معاني تستوجب التأويل التداولي، فتضعن اللغة أمام تعريف قيمي لمفهوم الحرية بكونها صبياً، ومن الواضح إشكالية اختلاف هذا المفهوم بحسب المجتمعات، فكلما ازداد التحيز إلى الذكر ضاقت الحرية على الأنثى، الأنثى التي باتت تشعر بأن المخرج يمكن في أن تخلق ذكراً حرزاً، ولأجل الموضوعية يمكن القول: إنه يملك هامش حرية أكبر، يحصل علومه، ويدخل غمار العمل كما يشاء، ومن ثم يحصل على حرية باستقلاليته، هذا المفهوم الذي يدفع الطفولة زين إلى قولها في حوار مع والدها:

<sup>1</sup> الأعرجي نازك، 1997- صوت الأنثى دراسات في الكتابة النسوية العربية. ط1، دار الأهالي، دمشق، 35.

<sup>2</sup> السمان غادة، الرواية المستحيلة. 71.

<sup>3</sup> المصدر السابق. 128.

## "أريد أن أكون علقة"

لم يفهم ما تعنيه سائلها صاحكاً: كي تمضي دم الصبيان؟

-أرادت أن تقول له: لأنني بنت وصبي في آن<sup>1</sup>.

ينتقل الحوار المتبادل بين طرفين إلى المونولوج، ويبتعد عن مبدأ الكل؛ عند عدم الرد على السؤال المباشر بجواب واضح وبما يرد، إن سكوت الطفلة، وثم مناجاتها لنفسها يعدان شكلاً حوارياً غير فاعل، ويدلان على الاختلاف لا الاتفاق، ويقطعن سبل تصاعد التفاعل الحواري واستمراره، وعدم الرد المباشر على المتكلّم يشكّل عقبة في طريق الاستئزام الحواري، لكنه يحمل معاني مضمرة يفسّرها سياق النصّ، فمن جهة يمكن القول: نجد في المعنى الضمني أن كلاً من الذكر والأنثى جنسان متكملاً، ومن جهة أخرى نلحظ في التأويل التّداولي الذي يفسّر السياق اللغوي إشارة إلى مفهوم "جندرِيّ"\*, يُزيل دوره العلامات الفارقة بين الجنسين، ويزكي أزمة التمييز بينهما، ويجعل من الإنسان عضواً إنسانياً فاعلاً ومتقاولاً ومنتجاً، من دون الأفكار المسبقة المرتبطة بجنسه، فهي تعوقه عن ممارسة أفعال قد يملك الإمكانية على القيام بها، فشعور الطفلة بكونها ذكراً وأنثى معاً تعبير طبيعي خارج على مفاهيم الأنوثة المكتسبة المبنية في ذهن الأنثى اجتماعياً ونفسياً، والشعور بالانتماء إلى الجنسين مرتبط بالمقدرة المؤسسة لدى الإنسان، والتي تؤهله على القيام بالأدوار المنوطة به، بغض النظر عن جنسه.

تنادي "زين" الطفلة المندفعة نفسها، وهي في لحظة إدبار وإقبال للسباحة في التّهر: "إذا كان هو قد فعلها ولم يمت، فلماذا لا أقدر أنا أيضاً؟ .. (لأنني بنت!). ولسعتها تلك الإجابة التي جاءت من أعماقها هي ولم يقلها لها هذه المرة أحد. وقفزت إلى الماء بكمال ثيابها في لحظة جموح [...] وهي تسمع في أذنيها صوتاً يقول: "لا تخافي"<sup>2</sup>.

يشكّل المونولوج حواراً تفاعلياً تصاعد وتيرته تدالياً، فالسؤال الذي يطرحه المتكلّم على نفسه يلقى إجابة مونولوجية عليه، "لماذا لا أقدر أنا أيضاً؟" ويردّ على نفسه بنفسه: "لأنني بنت!"، ويتتصاعد حوار الأنثى في قوله: "لا تخافي"، فيتجاوز الحوار الدّاخلي مبدأ الطريقة، ويدخل حيز اللبس وعدم الوضوح، فيقابل الضدان المعنويان في الحوار، ومن ثم يشكّلان في تناقضهما بعداً إشكالياً يزيد من غموض المفاهيم، فالخوف انبعث من المحيط الاجتماعي العام الذي يصرّ على ضعف الأنثى جسدياً، والثاني وليد قوة الأنثى الداخلية للإنسان الشّعوري واللاشعوريّة، فتشكل الجملتان فعلاً توجيهياً متناقضان بين دفع وجذب، وتظهر انعكاسات التربية الاجتماعية على الأنثى فيما تولده من فصل بين الجنسين في التربية، ويفك السياق المرجعي ببواهثه الاجتماعية والتّقافية الفروق التي يبنيها المجتمع بين الجنسين.

<sup>1</sup> السمان غادة، الرواية المستحيلة. 202.

\* يقصد به "الأدوار الاجتماعية الذكورية والأنثوية [...]" اعتبر الجنس أساساً بيولوجيًّا للفرق بين الذكر والأنثى، في حين أن الجنوسة كانت بناء اجتماعياً ثقافياً، وهذا الفصل بين البيولوجيا والتّقافة يتعارض مع المعتقدات الشائعة في وقتها، التي كانت تفترض أن الفرق الاجتماعية والتّقافية بين الرجال والنساء كان لها أساسها البيولوجي". بنيت طوني، غروسيبيرغ لورانس؛ موريس ميغان، 2010- مفاتيح اصطلاحية جديدة مجمّع مصطلحات الثقافة والمجتمع. ط1، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 263.

<sup>2</sup> السمان غادة، الرواية المستحيلة. 221.

هذا ولم تخل الرواية من الهم الوطني الذي جاء به الحوار الآتي بين "زين" ووالدها؛ ليحمل معاني وأبعاداً تداولية جديدة:

"سألهـا: هل تحبـين سوريـة؟"

- كثـيراً . . .

- لماذا؟

- وأنتـ هل تحبـ أمـكـ؟

- كثـيراً . . .

- لماذا؟"<sup>1</sup>

يزداد التـقـاعـلـ بـيـنـ المـتـحـاوـرـينـ عـنـدـمـاـ يـنـتـظـرـ أـحـدـ الطـرـفـينـ إـجـابـةـ،ـ وـمـنـ ثـمـ يـتـلـقـىـ سـؤـالـاـ يـنـوـبـ عـنـ الجـوابـ،ـ فـيـخـرـقـ الحـوـارـ مـبـداـ الـعـلـاقـةـ،ـ وـيـخـلـقـ ذـلـكـ أـبـعـادـ تـدـاـولـيـةـ تـسـتـدـعـيـ مـنـ السـائـلـ إـلـيـةـ عنـ سـؤـالـهـ وـفقـ سـيـاقـ الـحـوـارـ،ـ إـنـ التـشـارـكـ فـيـ إـنـشـاءـ النـصـ الـحـوـارـيـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ يـعـزـزـ الـفـضـاءـ الـتـقـاعـلـيـ،ـ فـيـدـخـلـ الـعـامـلـ إـلـقـاعـيـ فـيـ الـحـوـارـ،ـ وـيـدـعـمـ الـحـوـارـ بـآلـيـةـ الـحـاجـيـةـ الـمـقـارـنـةـ الـمـضـمـرـاتـ الـتـدـاـولـيـةـ،ـ فـوـضـعـ الـأـمـ مـوـضـعـ الـوـطـنـ،ـ جـعـلـ حـبـ الـأـمـ مـعـادـلـاـ لـحـبـ الـوـطـنـ،ـ هـذـاـ حـبـ الـأـنـتـمـائـيـ اـسـتـطـاعـ نـفـيـ السـؤـالـ الـذـيـ لـمـ يـحـظـ بـجـوابـ مـباـشـرـ يـمـكـنـ إـلـفـصـاحـ عـنـهـ،ـ فـيـرـتـبـطـ حـبـ الـوـطـنـ بـحـبـ الـأـمـ،ـ حـبـ غـيرـ مـشـروـطـ،ـ فـيـ مـحاـوـلـةـ لـتـعـزـيزـ الـأـنـتـمـاءـ،ـ وـتـمـكـنـ الـمـوـاطـنـةـ،ـ وـتـمـيـتـهـاـ لـدـىـ الـطـفـلـ أـوـلـاـ،ـ فـيـرـبـطـ السـيـاقـ بـيـنـ الـأـمـ وـالـوـطـنـ،ـ وـيـجـعـلـهـمـ مـتـرـادـفـينـ أوـ وـجـهـيـنـ لـعـملـةـ وـاحـدةـ.

وفي الرواية ينادي الصوت الأنثوي لـ"فيحاء" بالحرية مجدداً، حين تقول: "أنا حرّة. ما من رجل فوق رأسي يأمرني بشيء. الحمد لله أنّي حرّة ولن أترّوّج إلا رجلاً يتركني حرّة. ازدادت بوران ضيقاً وكظمت غيظها (حرّة؟ لهذا الكلام البديء يقال أمام البنات؟!). قالت بوران [...]: مسكينة. أنت يتيمة، وشقيقك الدكتور مروان كان مسافراً يتعلم، وليس لك أحد غيرنا".<sup>2</sup>

يزداد في هذا النـصـ التـقـاعـلـ بـيـنـ طـرـفـيـ الـحـوـارـ،ـ وـيـدـوـ أـنـ الـقـضـيـةـ الـتـيـ يـُـبـنـىـ عـلـيـهـ قـضـيـةـ شـائـكةـ،ـ وـمـوـضـعـ خـلـافـ وـاـخـتـلـافـ بـيـنـ فـكـرـيـنـ يـحـمـلـنـ أـيـدـيـوـلـوـجـيـاتـ مـتـاـقـضـةـ،ـ يـسـعـيـ كـلـ مـنـهـمـاـ إـلـىـ إـثـبـاتـ مـاـ يـؤـمـنـ بـهـ،ـ وـيـبـحـثـ عـنـ حـجـةـ تـدـعـمـ مـوـقـفـهـ،ـ وـالـمـوـنـوـلـوـجـ الـذـيـ دـارـ فـيـ ذـهـنـ الـعـمـةـ يـعـدـ كـلـامـاـ مـباـشـراـ دـاخـلـاـ فـيـ صـلـبـ الـحـوـارـ،ـ غـيرـ أـنـ الرـدـ الـصـرـيـحـ الـذـيـ جـاءـتـ بـهـ يـنـتـهـكـ مـبـداـ الـعـلـاقـةـ الـمـبـنـيـ عـلـىـ الـكـلـامـ الـمـوـافـقـ لـلـمـوـضـعـ،ـ لـيـشـكـلـ خـرـوجـهـ عـلـىـ الـمـوـضـعـ رـدـاـ قـمـعـيـاـ سـاـخـرـاـ وـمـتـهـكـماـ حـاـمـلـاـ الـفـضـلـ عـلـىـ الـآـخـرـ،ـ فـضـلـاـ عـنـ اـنـتـهـاـكـ مـبـداـ التـأدـبـ وـالـوـدـ بـيـنـ الـمـتـحـاوـرـيـنـ،ـ وـعـمـلـيـةـ الـإـقـنـاعـ وـالـإـقـتـاعـ لـمـ تـجـدـ حـيـزاـ وـاسـعاـ فـيـ إـطـارـ الـحـوـارـ السـابـقـ،ـ فـقـدـ اـكـتـفـيـ كـلـ مـنـهـمـاـ بـفـرـضـ رـأـيـهـ الـمـبـثـقـ مـنـ قـنـاعـاتـهـ،ـ وـأـمـرـ الـإـقـنـاعـ مـتـرـوكـ لـلـمـتـلـقـيـ ذاتـهـ.

كانت وما تزال حرية المرأة تتعارض مع المجتمع التقليدي، وتعد هنا عاراً يجب إخفاؤه عن الفتيات خوفاً من استههام أفكاره، فيسعى أحد الطرفين إلى تغيير مسار الحوار، وإضمار المعاني المرتبطة بالسياق، لقد المحاور إلى إثبات ذاته في صورة تمردية تحريضية، فالحرية الفردية ناشئة من التملّص من سلطة الرجل، ولهذه الحرية انعكاسات

<sup>1</sup> السمان غادة، الرواية المستحيلة. 269.

<sup>2</sup> المصدر السابق. 273.

سلوكية تضفي نقاة على كلام المتكلّم، وهناك خوف يضمّره الطرف الثاني من عدو الأفكار التحرّرية التي قد تنتشر بين الفتيات، و"حضور الكفاية الأيديولوجية في السلوك الحواري يظهر بالأساس في التبادل الحجاجي، حين يمارس كل طرف قدراته التفسيرية للقضايا بإبراز المناخي التي تعطي قوة الموقف وذلك الإشراك في الرأي وتحقيق الإنقاع"<sup>١</sup>، وفي هذا الحوار تتجه أيدلوجيا المتحاورين باتجاهات متنافضة، ويسعى كلّ منها إلى إضمار مفاهيمه الراسخة. يعكس هذا الجانب من الحوار أبعاد الكفاية الاجتماعية لشريحة واسعة، ويمثّل موقف العقلية الثابتة التقليدية أمام العقلية المنفتحة، ومن شروط التواصل الحواري مراعاة الشرط المقامي، لكن إثارة الانفعالات ما هي إلا محاولة لإثارة حفيظة المتألق وإدخاله بوصفه طرفاً في العملية التواصلية، في دعوة إلى الوقوف عند المفارقة القائمة بين الحرية المتمثلة في حق تقرير المصير، والخروج على السلطة الذّكرية.

إنَّ رسالَة غادَة السُّمَان إِلَى النِّسَاء الْعَرَبِيَّاتِ فِي الْوَقْت الْحَاضِر وَاضْطَرَّةً وَهِيَ: عَلَيْكَ أَنْ تَعِيَّدِي رَسْمَ دُورِكَ فِي الْمُجَتمِع وَأَنْ تَسْعِي إِلَى الْمُسَاوِيَّة الْقَائِمَة عَلَى الْعَدْلَة الْاجْتِمَاعِيَّة، وَلَكِنْ لَا سَبِيلٌ إِلَى إِحْدَاثِ الْمُسَاوِيَّة بَيْنِ الْجَنْسَيْن مَادِمَتْ تَقْلِيدُ الزَّوْج قَائِمَة دونِ الاعتراضِ عَلَيْهَا<sup>2</sup>، فَرْضُ الزَّوْج غَيْرِ الْمُنَاسِب بِدَأِيَّة لِرَفْضِ قَوْانِينِ الزَّوْج غَيْرِ الْمُنْصَفَة، وَهُوَ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ الْوَعْيِ النِّسَويِّ تَجَاهُ حُقُوقِ الْمَرْأَة.

يستدعي "أمجاد" حواراً دار في الماضي بينه وبين صديقه الفرنسيّة: "هل ترضى بالإقامة معي في باريس والبقاء هنا؟ [...]" بالتأكيد لا. أريد أن أعود إلى بلدي. لن أكافئ أمي التي تفقّ علىي بالبقاء هنا. . وثمة قضايا حقيقة أكبر من حبّي لك تربطني بوطنِي. أجبت بهدوء مماثل: وأنا أيضاً. لا أريد ترك حلقتي الحزبية ولا نضالي، ولا أستطيع أن أتحول إلى امرأة شرقية تنتظر في البيت وتتحجّب حين تغادره. إنّي من طينة حضارية أخرى وأعرف أنّ حبّي لك كبير، ولكن الفلسفة علمتني أن أنظر إلى جوهر الأشياء<sup>3</sup>.

من الواضح أن الإسهاب في جواب كل من المتحاورين تجاوز مبدأ الكل، الأمر الذي تترتب عليه جملة من الأسس الإقناعية التي تعبّر عن مقامات مختلفة؛ إذ إن رفض أمجد البقاء في فرنسا جاء بناء على قضيّتين، الارتباط بـ(الأم)، وـ(القضايا الوطنية)، وهما قضيّتان ترتبطان بـ(الآخر، والوطن)، ورفض انتقال حبيبه معه إلى بلد عربي ارتبط بقضيّتين، (إثبات الذات) وـ(التضال الوطني)، وهما ترتبطان بـ(الأنّا، والوطن)، ولكنّ منهما أسباب تعتمد على مقامهما وخلفياتهما المرجعية والثقافية.

إنّ ردّ المرأة "لا أريد ترك حلقتي الحزبية- لا أستطيع أن أتحول إلى امرأة شرقية..)، يضمّر معاني ذات غايات تداولية، فوجود امرأة غربية في بلاد عربية سيحول بينها وبين حرّيتها وممارستها القضيّة التي تؤمن بها، وهذا ما لم تعد المرأة الغربية المعاصرة ترضخ له، والحجاج اللّغوي المبني على المنظور الفلسفّي حاجج بالحكمة، هو حاجج إقناعي تأثيري يتّوّхи المنطق ويهدى المتلقّي إلى تعديل موقفه وتحفيزه على الاتّجاه الواقعي لا المثاليّ، ففي المجتمع التقليدي تتحلّ المرأة "الموقع الأدنى" لكونها تعيش وضعًا مركّبًا من الاستبعاد والتّهميش والدونيّة يختلف في نوعه ودرجته عن وضع المرأة الغربية؛ حيث بلورت النّسوة مفاهيمها حول الجسد والهوية الأنثوية، ولا يستقيم

<sup>1</sup> نظيف محمد، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي. 37.

<sup>2</sup> عواد حنان، 1989- قضايا عربية في أدب غادة السمان في فترة ما بين 1963-1975، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1989، 159.

<sup>3</sup> السمان، غادة، الرواية المستحالة، 344.

أمر الفكر النسووي بانتقاء مشكلة بعينها وتعيمها باعتبارها المشكلة الوحيدة لدى جنس النساء عامّة، دون معالجة وضع المرأة ضمن الحراك العام للمجتمعات البشرية، فذلك الحراك هو الذي يحدّد درجة أهميّة المشكلة في هذا المجتمع أو ذاك، وفي هذه الثقافة أو تلك<sup>1</sup>، إن ما طرحته المرأة في مقارنتها الواسعة والمسهبة محادثاتياً يستدعي النّظر في وضع المرأة العربيّة، فلا نزعم أنّ المرأة في الغرب نالت أقصى درجات الحرية، وأنّ المرأة الشرقيّة مازالت ترزح تحت قيود ثقيلة بالمطلق، بل هناك تغييرات واضحة إيجابية تحفل بها المرأة العربيّة، غير أنها لم تتل القسط الوافر من الحقوق والحرّيات اللتين تمنّانها الثقة والإمكانیات الالزمة لبروزها.

وفي الرواية عندما تكبر "زين"، ويكبر معها حب الأدب والكتابة، يقول لها أحد أصدقاء والدتها: "الأدب جريثومة مؤذية لصاحبها ولعلك ورثتها عن أمك [...]. أنت تشبعينها. تأملها بهدوء وتابع: لا. أنت فقط تشبعينها للوهلة الأولى، ولكنك مختلفة. أنت صلبة وبوسعك أن تكوني قاسية. أنت خجولة ولكن بوعشك أن تكوني جريئة. أنت النسخة العصرية المنقحة عنها"<sup>2</sup>: في الإسهاب الكلامي خروج على الكمّ الحواري المطلوب، فالجمل الخبرية الواصفة المتلاحقة في الحوار تحمل مضمرات تداولية تحرّضية، فعلميّة النّفي والإثبات الموجّهة إلى الفتاة في تشبيهها بوالدتها مدعوة إلى التّساؤل، وفيها خروج آخر على مبدأ الطّرifice، لما في الكلام من ليس، فالتشابه أساس بني عليه الاختلاف فيما بينهما، إنّ الثابت في النسخة الأمّ، بات متغيّراً في النسخة البنت، في دعوة مضمرة إلى كسر القوالب، والقفز على الحواجز، إنّها دعوة إلى الكتابة، "حتى لو كانت الكتابة انتحاراً، كما ترى الروائية الكبيرة غادة السمان، ولكنه الانتحار الذي تعقبه الولادة الأكثر صخباً، لأنّها امرأة (تشتعل حياة)، ولهذا أورثت بطلتها (هند) وامتدادها (زين) وكلّ امرأة تتشتعل حماً وأملاً وحياة، هذا الميراث الذي لا ينفد"<sup>3</sup>، إنّ مفهوم الكتابة الذي دعا إليه الحوار بما يرافقه من اطّلاع ومعرفة وتفكير وبحث، هو عمليّة تحقيق الذّات التي كانت مهمّشة في الماضي، وتمكن الهوية الأنثوية التي اضمحلّت سابقاً، فـ"زين" باتت انعكاساً لكلّ أنثى متحرّرة قوية، إنّها الأنثى الجديدة التي تمثل المرأة الجديدة بمعطيات القوة والصلابة كلّها.

#### **الخاتمة: يخلص البحث إلى جملة من النّتائج الآتية:**

1. الحوار عمليّة تواصلية تفاعلية ذهنية ولغوية، تدرج في بعدين؛ المونولوج الداخلي لدى الشخص، وال الحوار التّفاعلي بين طرفين أو أكثر، وفي الحوار تبنيّ المضمرات في النّصّ الحواري، معزّزة العمليّة الكلامية التواصلية، ويرُاعى في الحوار الشرط المقامي بين المتكلّمين، ويعمل السياق على تفسير المضمرات اللغوية وتأنّيلها.
2. تكشف العمليّة الحواريّة أيديولوجياً الشخصيّات الروائيّة، وأبعاد أفكارها المباشرة والمضمرة، وينمّح خرق مبدأ الكمّ مجالاً لتنامي الحوار، وإيصال أكثر مما هو مطلوب، تتخلّلها أساليب حاجيّة تسعى إلى الإلقاء، لتعزيز

<sup>1</sup> إبراهيم، عبد الله، 2011- السرد النسووي الثقافة الأبوية الهوية الأنثوية والجسد. ط١، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 45.

<sup>2</sup> السمان غادة، الرواية المستحيلة. 468.

<sup>3</sup> الركابي عذاب، 2012- الرواية المستحيلة فسيفساء دمشقية لغادة السمان، نزوی، عمان، ع72 ، 266 .

الارتباط بالوطن، أو التمسك بعادات مبدئية في الحياة، أو بنقدها ومحاولة تغييرها بما يتناسب مع متطلبات العصر والفكر، وبما يضمن تحرر الأنثى واكتشاف هويتها، وتحقيق ذاتها.

3. يعزز الخروج على مبدأ العلاقة التفاعل في النص، فيستحضر الكلام غير المناسب لغرض الموضوع ذهن المتحاور، للبحث عن مضمونات المحادثة؛ إذ يمثل عدم الامتثال إلى الموضوع بادرة تفاعلية لإجراء مقاربات بين الموضوع الظاهر والموضوع المضمر المقاصد، ويسمح السياق في فهم مقاصد المضمونات التداولية، فيصل المتحاورون إلى المقاصد بأنفسهم من دون الحاجة إلى الكلام التقريري المباشر الذي قد يضعف فرصة تسامي الحوار أو بلوغ مقاصده بأساليب تأثيرية وإنقاعية، ودعا الحوار عند ذلك إلى استقلال الذات الأنثوية والخروج على التبعية الذكورية والثوابت الاجتماعية السائدة بطريقة غير مباشرة.

4. يعد خرق مبدأ النوع الذي ينأى عن الكلام الصادق، ويعتمد على مقولات تتعارض مع الحقائق، واحداً من الأساليب المحادثاتية التي تضمن انتقاد الجانب التفاعلي في الحوار، ففي قول ما تصعب البرهنة عليه، تمتّد مساحات التواصل المتعارضة بين تأكيد أو نفي قضية ما، ومنه سعي المتكلّم إلى الإشادة بالحرّيّة الإنسانية وبخاصة لدى الأنثى، ودعاهما إلى التمتع بها من حريّة يمنحها القدرة على إثبات ذاتها، وتحقيق غایاتها.

5. أمّا ما جاء من خرق قاعدة الطريقة التي تتطلب قول الكلام من دون لبس، فعبرت الشخصيات عن آراء تحمل قناعات أصحابها، بوساطة الكلام المضمر الذي يحتاج إلى تفسير وتأويل، وسعى المتكلّمون من خلال حواراتهم في النص الروائي إلى إقناع المتلقّي بعدم الفصل في التربية بين الجنسين الذكر والأنثى، بوصفهما يتمتعان بصفات إنسانية تتوّلها القيام بمهام متعددة ومشتركة، وإفساح المجال للأثرى لممارسة الكتابة بما يضمن لها حقها في التفكير، وفي التعبير.

**توصيات البحث:** تعد التداولية حقلًا لسانيًا خصباً في مجال الدراسات اللغوية، وما زال الإناء فيها ينضج، ومجال التحليل، والتّأويل، والاستنتاجات اللغوية مفتوحة أمام البحث والقصي، وإذا كانت نظرية الاستلزم الحواري واحدة من النظريات التداولية المهمة المرتبطة بالحوار ومضمونات القول، فإن الاشتغال فيها ودراسة الحوارات الواردة في التصوّص والخطابات ستكتشف عما هو غير محكي وظاهر في الكلام المنطوق والمكتوب، وستحيلنا للأعمال البحثية على مضمونات القول وعلى المقاصد التداولية التي يتوكّلاها المتكلّم.

**المصادر والمراجع:**

- (1) إبراهيم عبد الله، 2011- السرد النسووي الثقافة الأبوية الهوية الأنثوية والجسد. ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت.
- (2) الأعرجي نازك، 1997- صوت الأنثى دراسات في الكتابة النسوية العربية، ط1، دار الأهالي، دمشق.
- (3) بوتور ميشال، 1986- بحوث في الرواية الجديدة. ط3، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت.
- (4) بينيت طوني؛ غروسبيرغ لورانس؛ موريس ميغان، 2010- مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع. ط1، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- (5) ختم جود، 2016- التداولية أصولها واتجاهاتها. ط1، دار كنوز المعرفة.
- (6) روبول آن؛ موشلار جاك، 2003- التداولية اليوم علم جديد في التواصل. ط1، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت.
- (7) روبول آن؛ موشلار جاك، د.ت- القاموس الموسوعي للتداولية. د.ط، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعة : خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا - تونس، سلسلة اللسان.
- (8) السمان غادة، 1997- الرواية المستحيلة فسيفساء دمشقية. ط1، منشورات غادة السمان، بيروت.
- (9) عبد الرحمن طه، 2000- في أصول الحوار وتجدد علم الكلام. ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء .
- (10) عبد الفتاح محمد، 1979- سيكولوجية الاتصال والإعلام. د.ط، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية.
- (11) عشير عبد السلام، 2006- عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج. د.ط، أفرقيا الشرق، المغرب.
- (12) علوش سعيد، 1985- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبرس- الدار البيضاء .
- (13) علوى محمد إسماعيل، 2013- التواصل الإنساني دراسة لسانية. ط1، دار كنوز المعرفة، عمان.
- (14) عواد حنان، 1989- قضايا عربية في أدب غادة السمان في فترة ما بين 1963-1975، ط1، دار الطليعة، بيروت.
- (15) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري الإفريقي المصري، 1981- لسان العرب. ط1، تد: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر.
- (16) نحلة محمود أحمد، 2002- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

(17) نظيف محمد، 2010- **الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية**. د.ط، أفريقيا الشرق، المغرب.

(18) هوانغ يان، 2020- **معجم أكسفورد للتداولية**. ط1، تر: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان.

**الدّوريات:**

1) الركابي عذاب، 2012- **الرواية المستحيلة فسيفساء دمشقية لغادة السمان**. نزوى، عمان، ع 72.

2) بوعزة محمد، 1 نوفمبر 1995- **الحوارية الروائية**. البيان، الكويت، 6-12.

3) كريستيفا جوليا، 1 أكتوبر 2000- **الكلمة والحوار والرواية. الآداب الأجنبية**، تر: حسن المودن، ع 104، .102-72

4) زاوي، أحمد ، 1 أكتوبر 2013- **تجليات الحوار في الخطاب السردي عند محمد مفلح**. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، ع 3، 36-51.

# The Dialogue in the *'Impossible Novel'* By Ghadah Al-Samman

## Pragmatics Approach in the Implicit Meaning

\* Dr.Malek Yaseen

\*\* Malaz Harfosh

### Abstract

This research studies the dialogue in the novel, the dialogue is one of the important form of communication it is the most reactive part in the literary work.

Linguistics theories studied the dialogue according to conversational implicate theories, and the principle of cooperation side, this theory back to pragmatics theory, the rules of conversation are: quality, quantity, relation and manner, actually breathe principle is a main pillar to make a dialogue is full of implicit meaning.

In this research some conversation sections were induced in this novel, the dialogue was analyzed according to principle cooperation, it take's care of communication conditions, so we get to the implicate meaning

**Keywords:** dialog, pragmatic, conversational implicature, novel, implicit meaning.

\* Professor, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia , Syria.

\*\* P.HD student, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Latakia, Syria. Malaz19harfosh86@gmail.com